مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

# الاتفاق السعودي الإيراني ... قراءة ضد التيار

أحمد مطر

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

## عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

**ملحوظة:**

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

**حقوق النشر محفوظة © 2023**

**www.bayancenter.org**
**info@bayancenter.org**

**Since 2014**

# الاتفاق السعودي الإيراني ... قراءة ضد التيار

أحمد مطر*

## مقدمة

أعلنت طهران والرياض الاتفاق في 10/3/2023 من العاصمة الصينية على عودة العلاقات بين البلدين في غضون شهرين –وسنرى لماذا شهرين؟!– من تاريخ الاتفاق الموقَّع بين البلدين برعاية صينية، ممَّا أثار ردوداً ومواقف دولية تراوحت بين الترحيب بالاتفاق على أمل أن يؤدِّي إلى التهدئة في المنطقة وبين موقف أمريكي رسمي مرحب بحذر ناجم عن رعاية الصين للاتفاق، ومشككاً بوفاء إيران بالالتزامات المترتبة على الاتفاق الذي رأت فيه أوساط المحللين في واشنطن اختراقاً دبلوماسياً لصالح (بيجين) في منطقة لطالما تميَّزت بطغيان النفوذ الأمريكي.

مع أنَّه من المبكِّر الحكم على الاتفاق (الذي كُتِبَ بالعربية والفارسية والصينية، ولا توجد نسخة منه بالإنكليزية)، فيما إذا سينهي حالة التوتر والصراع بين طهران والرياض، فضلاً عن تقييم الرعاية الصينية للاتفاق، وفيما إذا كانت تشكل اختراقاً ونصراً دبلوماسياً حقيقياً لبيجين، إلا أنَّه يمكن القول إنَّ معظم التحليلات التي تناولت الاتفاق خلطت بين الأسباب والنتائج، وبين الوساطة الصينية للاتفاق وبين الاختراق الدبلوماسي الصيني في منطقة الشرق الأوسط؛ وذلك خلط ناجم بدوره عن سوء فهم قاد هذه التحليلات إلى إهمال السياق الزمني الذي جاء فيه الإعلان عن الاتفاق وتزامنه مع قيام المملكة العربية السعودية بالتفاوض؛ للالتحاق بالاتفاقيات الإبراهيمية (أي: التطبيع مع إسرائيل) بوساطة أمريكية كما سنتبين لاحقاً، والتي تزامنت بدورها مع أكبر مناورات عسكرية أمريكية–(إسرائيلية)، ومن ثَمَّ أهملت هذه التحليلات نيات الرياض من توقيت الموافقة على الاتفاق.

كما أنَّ سوء الفهم هذا والتفاؤل المفرط ربما قاد هذه التحليلات أيضاً إلى اختزال الملفات الساخنة في الشرق الأوسط بالصراع السعودي الإيراني الذي –مع أهميته– لا يشكِّل ولا يمكن به أن نختزل الصراعات في منطقة الشرق الأوسط، فهي من التداخل والتعقيد أكبر من أن تختزل بملف واحد مهما بلغت أهميته من جهة أخرى.

* باحث في العلاقات الدولية.

بلغ الملف السوري –على سبيل المثال–من التعقيد أنَّ التحالفات بين الفاعلين الدوليين والإقليميين في تغيير مستمر والمواقف متقلبة إلى درجة أفقدت المحللين والمختصين بشؤون المنطقة البوصلة التي ترشدهم في فهم المواقف الإقليمية والدولية حيال الأزمة السورية! فنرى الدول التي كانت تسعى لإسقاط نظام الرئيس السوري بشار الأسد، وباتت ترسل رسائل تشي بقرب عودة العلاقات مع سوريا التي ما يزال رئيسها بشار الأسد. وإيران وروسيا، مع مظاهر التحالف بينهما في سوريا إلا أنَّ التنافس بينهما على النفوذ في دمشق على أشده1، ممَّا يتضح في عدم تصدِّي الدفاعات الروسية في دمشق للطائرات (الإسرائيلية) التي تقصف بصورة متكرر أهدافاً إيرانية في سوريا، وهو ما يؤشر بدوره إلى ارتياح روسي لكل ما من شأنه احتواء نفوذ طهران في دمشق، فضلاً عن احتمال وجود تنسيق مسبق بين موسكو و (تل أبيب) بهذا الخصوص. لذا، تكشف تعقيدات الملف السوري عن أنَّ الشرق الأوسط أكبر وأعقد من أن يُخْتَزَل باتفاق يثار كثيراً من التساؤلات حول زمانه (توقيته) ومكانه، ودوافع كل طرف فيه، وخصوصاً طهران والرياض، فضلاً عن إمكانية صموده بوجه الوقائع التي سنتحدث عنها لاحقاً.

ويتضح الخلط في هذه الطروحات والتحليلات في النتائج التي خرجت بها، ونذكر منها أنَّ بعضهم ذهب إلى أنَّ توقيت الاتفاق ناجم عن أنَّ الضغوط الدولية على طهران قد عزَّزت قناعة كل من طهران والرياض بأنَّ الظروف باتت مؤاتية للاتفاق على عودة العلاقات بين البلدين، فطهران مجبرة بحكم ظروفها على التسليم بشروط الرياض والأخيرة وجدت في ضعف طهران وعزلتها الفرصة المناسبة لفرض شروطها. هذا التحليل أقل ما يقال عنه أنَّه سطحي ومضلل إلى حدٍّ ما، لأنَّه أغفل حقائق سنسلط الضوء عليها لاحقاً.

لذا، وللوصول إلى قراءة دقيقة للاتفاق لا بدَّ من وضعه في سياق يستهدف بالتحليل تطورات سبقت ورافقت الاتفاق قد تنسف النتائج التي خرجت لها معظم التحليلات التي تناولت الاتفاق. سنحاول في هذه الورقة تشخيص هذه التطورات وأثرها على الاتفاق نفسه عن طريق الإجابة عن التساؤلات الآتية: هل يشكل الاتفاق اختراقاً دبلوماسياً صينياً في الشرق الأوسط؟ وإنَّ الاتفاق إستراتيجي أم تكتيكي؟ ولماذا الآن؟ وأين العراق من هذا الاتفاق؟ أو بعبارة أدق ما تداعيات الاتفاق على العراق؟

## الشرق الأوسط الصيني!

لا شكَّ أنَّ صعود الصين يشكِّل أحد أهم المتغيرات الجيوبوليتيكية في القرن الحادي والعشرين، ومن أهم تداعيات الصعود الصيني هو أنَّنا بدأنا نشهد بوادر حرب باردة بين واشنطن وبيجين، فضلاً عن منطق اللعبة الصفرية الذي بدأ يدفع التنافس الأمريكي الصيني إلى الاقتراب من حافة الهاوية، كما رأينا في حادثة المنطاد الصيني الذي أسقطته واشنطن فوق الأجواء الأمريكية، وألغت على أثرها الزيارة المقررة لوزير الخارجية الأمريكي إلى بيجين2.

تجدر الإشارة إلى أنَّ صعود الصين أصبح أكبر المتغيرات على الإطلاق التي شكلت محور التفكير الإستراتيجي لصانع القرار الأمريكي مع مجيء إدارة أوباما التي أطلقت في العام 2012 إستراتيجية الاتجاه نحو آسيا3، التي شكَّلت نهاية للحرب على الإرهاب التي كانت محور الإستراتيجية الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول 2001. وكان من تبعات إستراتيجية الاتجاه نحو آسيا أنَّ الولايات المتحدة بدأت تقلص التزامها وحضورها الأمني في منطقة الشرق الأوسط، وعزَّز من هذا التوجُّه تراجع اعتماد الولايات المتحدة على نفط المنطقة بفعل تكنلوجيا النفط الصخري، التي مكنت الولايات المتحدة من الاكتفاء الذاتي في مجال الطاقة4.

أدَّى تقليص الولايات المتحدة لالتزاماتها في الشرق الأوسط إلى ترك فراغ ملحوظ كان من تداعياته اشتداد التنافس الإقليمي والدولي على النفوذ في الشرق الأوسط، وهو ما أدَّى بدوره إلى تصاعد حدة الأزمات والحروب في كل من اليمن، وسوريا، وليبيا، فضلاً عن ظهور داعش وسيطرته على مناطق شاسعة في كل من سوريا والعراق، وانخراط روسيا عسكرياً في سوريا إلى جانب تركيا ودول عربية عبر حلفاء محلين، فضلاً عن الانخراط الاقتصادي للصين في منطقة الشرق الأوسط.

إنَّ الاعتقاد بخفض الولايات المتحدة لالتزاماتها في الشرق الأوسط والفراغ الذي خلفته في الشرق الأوسط قد أدَّى إلى الانخراط العسكري الروسي في سوريا، والتغلغل الاقتصادي الصيني في منطقة الشرق الأوسط، وهو أدَّى بدوره حدوث تغييرات موازين القوى والتحالفات في الشرق الأوسط صحيح، ولكن إلى حدٍّ ما ليس دقيقاً.

إنَّ الذي قاد إلى هذا الانخراط الروسي الصيني وإعطاءه هالة مبالغة فيها إلى حدٍّ ما هو السخط الذي شعر به حلفاء الولايات المتحدة التقليديون (دول الخليج العربي خصوصاً) جرَّاء خفض واشنطن لالتزاماتها الأمنية في المنطقة، فراحت هذه الدول تتقرَّب من كل من روسيا والصين؛

للتلاعب بواشنطن وإثارة سخطها، الأمر الذي يتضح جلياً في التقارب بين المملكة العربية السعودية تحديداً مع روسيا والتنسيق معها ضمن تحالف (أوبك بلس) على قرار خفض إنتاج النفط بواقع (2) مليون برميل في تشرين الأول 2022، وذلك بالضد من مطالبات واشنطن بالإبقاء على سقف الإنتاج الحالي5. ثم دعوة الرئيس الصيني (شي جن ينغ) إلى الرياض في كانون الأول 2022، لعقد ثلاث قمم مع الصين في الرياض، قمة صينية عربية، وقمة صينية خليجية، وقمة صينية سعودية6.

كانت تجربة الغزو العراقي للكويت عام 1990 درساً قاسياً في الأمن القومي للكويت بصورة خاصة، ولدول الخليج العربي، وكان هذا الدرس قد جعل هاجس الأمن يطغى على ما سواه. ودول الخليج العربي بما فيها المملكة العربية السعودية تعلم أنَّ غاية ما تقدمه الصين هو التجارة والاقتصاد، وذلك –على أهميته– يأتي في المرتبة الثانية في أولويات دول الخليج العربي التي تبحث عن ضمانات وخدمات أمنية ليست مدرجة على الـ( (Menu، أو قائمة الخدمات التي تقدمها الصين في الوقت الحاضر على الأقل. لذا تسعى الرياض إلى الضغط على الولايات المتحدة باستخدام الصين منافسها الجيوإستراتيجي، وإجبارها على إعادة النظر في التزامها وحضورها الأمني في منطقة الخليج العربي الذي كان أكثر من تضرر بإستراتيجية الاتجاه نحو آسيا لصورة ملحوظة، وهو ما اتضح بصورة جلية في الحرب في اليمن، واستهداف المملكة العربية عام السعودية عام 72019.

وبالنظر إلى أزمات الشرق الأوسط: اليمن، وسوريا، وليبيا، والصراع الفلسطيني (الإسرائيلي) لم تنهض الصين بأي دور دبلوماسي، أو أمني يذكر قبل الإعلان عن الاتفاق بين الرياض وطهران في بيجين في 10/3/2023. لذا، نرى أنَّ الحديث عن اختراق دبلوماسي صيني في الشرق الأوسط محض مبالغة، لسبب يسير، لكن مهم: وهو أنَّ الاتفاق بين طهران والرياض قد أنضجته متغيرات وظروف دولية وإقليمية (سنناقشها لاحقاً في معرض إجابتنا عن السؤال لماذا الآن؟) ولَّدت قناعة لدى كل من الرياض خاصة، وطهران بأنَّ الاتفاق بات ممكناً بغض النظر عن الوسيط ومكان الاتفاق، وأعتقد أنَّ الرياض اختارت بيجين للإعلان عن الاتفاق بين طهران والرياض؛ لإعطاء بعد دولي للاتفاق، ولإثارة جدل داخل واشنطن –بدأ بالفعل بعد ساعات من إعلان الاتفاق– بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي بشأن السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط، ولتصوير رعاية الصين للاتفاق على أنَّه جاء نتيجة خفض الولايات المتحدة لالتزاماتها في الشرق الأوسط، وتركها فراغ سارعت بيجين إلى ملئه8، ومن ثَمَّ إجبار واشنطن على مراجعة سياستها الخارجية تجاه

الشرق الأوسط والمملكة العربية السعودية تحديداً، لا سيَّما أنَّ الولايات المتحدة ستشهد هذا العام انتخابات رئاسية في تشرين الثاني، وسيحتل الشرق الأوسط –فضلاً عن الحرب في أوكرانيا– حيزاً كبيراً في الحملات الانتخابية للحزبين الأمريكيين.

أمَّا الحديث عن أنَّ بيجين فستكون ضامنة للاتفاق بين الرياض وطهران، وأنَّ بغداد التي استضافت (5) جولات للمحادثات طوال سنوات سابقة لا تستطيع ضمان الاتفاق بين الرياض وطهران، فالسؤال الذي يثار هنا كيف ستضمن بيجين هذا الاتفاق وبأي وسائل؟ عبر الضغط الاقتصادي، قد يقول قائل؟ لا اعتقد أنَّ الضغط الاقتصادي سينجح في ضمان أي اتفاق وخصوصاً في إقليم الشرق الأوسط الذي يُعدُّ أشد أقاليم العالم سخونة أمنياً، إذ قلما تنهض الحوافز والضغوط الاقتصادية بدور في أزماته. وللتدليل على ذلك نذكِّر بأنَّ عقود من العقوبات الاقتصادية لم تفلح في ثني طهران عن برنامجها النووي الذي ترى فيه طهران (بوليصة) تأمين9، تجاه سياسات الولايات المتحدة تجاهها، كمنا نشير إلى تقرير نشرته (الوول ستريت جورنال) في 9/3/2023 10 كشف دخول المملكة العربية السعودية حالياً في مفاوضات للتطبيع مع (إسرائيل) بوساطة أمريكية اشترطت فيها المملكة على الولايات المتحدة حصولها على ضمانات أمنية أمريكية ومساعدتها في تطوير برنامج نووي مدني لقاء تطبيعها مع (إسرائيل)، ممَّا يكشف عن أنَّ الأمن هي العملة السائدة إقليم الشرق الأوسط كما أشرنا إليه سابقاً من جهة، ويؤكِّد ما ذكرناه سابقاً من أنَّ الرياض تسعى إلى استعادة الضمانات الأمنية الأمريكية التي كانت تتمتَّع بها طوال ثمان عقود، وأنَّ تقاربها من كل من موسكو و بيجين يأتي في إطار التلاعب بواشنطن؛ للحصول على الضمانات الأمنية الأمريكية.

إلا أنَّ التلاعب بواشنطن باستخدام الصين في وقت تمر به العلاقات الأمريكية الصينية في مرحلة حرجة أقرب إلى الحرب الباردة، مغامرة غير محسوبة (أو محسوبة ربما) قد تقود واشنطن إلى الإقدام على عمل عسكري ضد إيران يعيد ترتيب الشرق الأوسط، ممَّا سنحاول أن نبينه فيما بعد.

لذا، نؤكِّد أنَّ ظروف الاتفاق بين طهران والرياض نضجت وقد يكون للصين دور محدود في إنجاحه لكن ليس بالصورة التي صُوِّرَت في وسائل الإعلام التي بالغت في الاحتفال والتبشير بشرق أوسط صيني، لمجرد استضافتها لمسؤولين من طهران والرياض؛ لإعلان اتفاقهما الذي بات ممكناً الآن بغض النظر عن الوسيط، وهذا ما سنكتشفه في البحث عن طريق السؤال، لماذا بات الاتفاق الآن ممكناً؟

## لماذا الآن؟

دخلت المملكة العربية السعودية وإيران في محادثات سرية منذ العام 2019، وكانت طهران هي من بادرت إلى طلب البدء في الحوار مع الرياض بعد أنِ انسحبت إدارة ترامب في العام 2018، من الاتفاق النووي مع إيران الذي وقعته إدارة أوباما عام 2015. إذ إنَّ إدارة ترامب لم تكتفِ بالانسحاب من الاتفاق النووي، بل شرعت في فرض دفعات من العقوبات الاقتصادية ضمن ما عرف بحملة الضغط القصوى11، وأدَّى انسحاب إدارة ترامب من الاتفاق إلى انهياره، ممَّا دفع إيران بدورها إلى التنصل من الالتزامات المترتبة عليها بموجب الاتفاق، إذ لم يكن منطقياً أن تلتزم باتفاق لم يعد قائماً مع استمرار العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها.

كما أنَّ حملة الضغط القصوى كانت مترافقة بحملة استهداف عسكري لأهداف إيرانية في سوريا والعراق، ممَّا دفع إيران إلى التهدئة مع المملكة العربية السعودية التي تخوض وإيران حرباً باردة منذ عقود، وصلت ذروتها عام 2016 حينما أقدم محتجون إيرانيون على حرق البعثات الدبلوماسية السعودية في إيران رداً على إقدام سلطات المملكة العربية السعودية على إعدام رجل الدين الشيعي نمر النمر في كانون الثاني 122016.

بعد الصدمة التي تلقتها المملكة العربية السعودية من رد فعل إدارة ترامب على هجمات أرامكو عام 2019، وافقت المملكة على الدخول في حوار مع طهران13. وكان هذا الحوار الذي بدأ في بغداد استكشافياً ولم يكن جدياً. إذ إنَّ كل من طهران والرياض كان يراهن على عامل الوقت، طهران كانت تأمل مجيء إدارة ديمقراطية تتبنَّى نهجاً أقل تشدداً تجاهها كما تأملت إعادة إحياء الاتفاق النووي. من جهتها الرياض كانت تأمل أن تقوم إدارة ترامب بتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران، لا سيَّما أنَّ أقطاب إدارة ترامب كانوا من المتشددين حيال إيران أمثال وزير الخارجية مايك بومبيو ومستشار ترامب للأمن القومي جون بولتون، وأنَّ هذه الآمال أحيتها اغتيال الجنرال قاسم سليماني في كانون الثاني عام 142020.

اتبعت إدارة بايدن التي خلفت إدارة ترامب نهجاً فاتراً تجاه الرياض؛ بسبب قضية الصحفي السعودي جمال خاشقجي، ونهجاً أكثر تشدداً تجاه إيران، فشرعت الرياض بالتقرُّب من خصوم الولايات المتحدة (موسكو وبيبجين) أكثر، أملاً في دفع إدارة بايدن إلى إعادة النظر في نهجها حيال المملكة فيما عمدت طهران إلى تعميق صلاتها بكل من موسكو وبيجين أكثر لمواجهة

العقوبات التي شددتها إدارة بايدن؛ بسبب تزويد إيران لروسيا بالطائرات المسيرة15 التي تستخدمها في حربها مع أوكرانيا، وكذلك بسبب الطريقة التي تعاملت بها إيران مع الاحتجاجات التي اندلعت منذ أيلول 2022؛ بسبب مقتل الفتاة الإيرانية (مهسا أميني) عند احتجازها في أحد مراكز الشرطة الإيرانية.

تُعدُّ الضغوط التي تعرضت لها طهران في السنوات الخمس الماضية غير مسبوقة في تاريخها، إذ أدَّت العقوبات الاقتصادية والمالية إلى بلوغ نسبة التضخم إلى نسبة (45%)16، ممَّا تزامن مع احتجاجات شملت معظم مدن البلاد، واستعدادات عسكرية أمريكية (إسرائيلية) موجهة ضد إيران، ممَّا جعل طهران أكثر استماتة وصدقية في الحوار مع الرياض إلى درجة أنَّها أسقطت أي شروط مسبقة للحوار17. فيما لم تجد السعودية سبباً للاستعجال، فقد أدَّت العقوبات الاقتصادية والأوضاع الداخلية التي تعيشها إيران إلى تراجع نفوذها في المنطقة وتضاءلت قدرة إيران على إلحاق الضرر بالمصالح والأمن السعودي، إلا أنَّ الرياض فكَّرت في استخدام الحوار مع طهران ورقة أخرى في سعيها إلى إعادة المياه مع واشنطن إلى مجاريها، لا سيَّما أنَّ توقيت الاتفاق مع طهران يأتي في وقت تسعى فيه واشنطن إلى عزل إيران، بل إنَّ الرياض ذهبت أبعد من ذلك حينما قبلت دعوة الرئيس الصيني إلى الحوار مع طهران في بيجين، وبذلك فقد أثارت الرياض جدلاً محموماً في واشنطن بشأن الرعاية الصينية للاتفاق بين طهران والرياض، وكيف أنَّ هذا الاتفاق ترك واشنطن على الهامش18، وهذا ما تسعى إليه الرياض التي تُعدُّ من أكثر العواصم العربية معرفة بقواعد اللعبة السياسية في واشنطن، وتعرف المفاتيح الرئيسة لتشغيل هذه اللعبة، وهي الإعلام ومراكز التفكير الذين أصبح شغلهما الشاغل الاتفاق بين الرياض وطهران برعاية بيجين، فضلاً عن أنَّ الجمهوريين سيكون لديهم مادة لمهاجمة إدارة بايدن والديمقراطيون في الانتخابات الأمريكية في تشرين الثاني المقبل.

سبباً آخر ربما يكون وراء موافقة الرياض على إبرام الاتفاق مع طهران الآن، وهي أنَّ الرياض بدأت تقرأ مؤشرات تصعيد أمريكية–إسرائيلية تجاه إيران، بل إنَّها قد تكون ربما تيقنت من أنَّ التحضيرات جارية لتوجيه ضربة أمريكية (إسرائيلية) إلى طهران، ومن ثَمَّ أدركت أنَّ عليها أن تسارع إلى الاتفاق لكي تنأى بنفسها عن أي عمل عسكري أمريكي–(إسرائيلي)، وتتجنَّب –من ثَمَّ– الردود الانتقامية الإيرانية إذا ما تعرضت إلى عمل عسكري.

ومن المؤشرات التي قرأتها الرياض المناورات الأمريكية (الإسرائيلية) في صحراء النقب التي أجريت بتاريخ 23/1/2023، التي وصفت بأكبر مناورات عسكرية في تاريخ العلاقات بين البلدين شاركت فيها (100) مقاتلة أمريكية مع وقاذفات (B52)، وطائرات تزود بالوقود برفقة (42) طائرة عسكرية (إسرائيلية)19، وكذلك المناورات الجوية التي انطلقت في 13/3/2023، في ولاية نيفادا الأمريكية باسم (العلم الأحمر) بمشاركة سلاح الجو الأمريكي و(الإسرائيلي) التي ستستمر لأكثر من عشرة أيام20.

وما بين مناورات كانون الثاني ومناورات أذار جاء تصريح كولن كال مساعد وزير الدفاع الأمريكي للشؤون السياسية في 28/2/2023، أثناء جلسة استماع أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب بأنَّ إيران بحاجة إلى (12) يوماً لإنتاج قنبلة نووية21. كل هذه المؤشرات تزامنت مع الزيارات التي قام بها أركان إدارة بايدن (مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA ووزير الخارجية أنتوني بلنكن ووزير الدفاع لويد أوستن) إلى كل من الأردن، ومصر، و(إسرائيل)، فضلاً عن تأكيد الوكالة الدولية للطاقة الذرية عثورها على جزيئات يورانيوم مخصبة بنسبة (83.7%) في منشأة فوردو، أي: أقل بقليل من نسبة (90%) اللازمة لإنتاج سلاح نووي22.

قرأت هذه المؤشرات المملكة على أنَّها مقدمات لتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران، فقامت باختيار توقيت الاتفاق مع إيران بالتزامن مع هذه المؤشرات، وبالتزامن مع خوضها حالياً مفاوضات للتطبيع مع (إسرائيل) بوساطة أمريكية شرط الحصول على ضمانات أمنية أمريكية وبرنامج نووي مدني، وأعطت الولايات المتحدة و(إسرائيل) شهرين –قبل إعادة فتح السفارتين في طهران والرياض– للتفكير بالعرض وعمل شيء ما. وقد تدفع نافذة الشهرين هذه واشنطن وتل أبيب على القيام بعمل عسكري، وتكون الرياض حينها في مأمن من الردود الانتقامية الإيرانية بموجب الاتفاق، وعندها قد تتنازل الرياض عن شرط الحصول على برنامج نووي جراء انتفاء الحاجة إليه.

قد يبدو هذا التحليل مبالغاً فيه ومغرقاً في سوء الظن في النيات، إلا أنَّ محاولة الإجابة عن التساؤل فيما إذا كان هذه الاتفاق إستراتيجياً أم تكتيكياً؟ قد يؤدِّي إلى مراجعة التفكير في توقيت الاتفاق، ومن ثَمَّ البحث أكثر في نيات كل طرف من الاتفاق، وخصوصاً الرياض.

**هدنة أم سلام؟**

أو بعبارة أخرى هل الاتفاق بين طهران والرياض إستراتيجي أم تكتيكي؟ أجاب عن هذا السؤال وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان في مقابلة مع جريدة الشرق الأوسط23 في 12/3/2023، بالقول «**إنَّ الاتفاق لا يعني التوصل إلى حل جميع الخلافات العالقة بين البلدين**». ماذا يعني ذلك؟ يعني أنَّ الإجابة عن هذا السؤال تقتضي الإجابة عن تساؤل آخر، وهو لماذا لم تفكر كل من طهران والرياض بالاتفاق؟ أو حتى مجرد الحوار قبل عام 2019؟ الجواب يكمن في أنَّ طهران بعد إبرامها الاتفاق النووي عام 2015 وإطلاق أصولها المالية المجمَّدة قد امتلكت هامشاً واسعاً للحركة والتمدد، ممَّا أثار مخاوف الرياض من أنَّ إدارة أوباما أطلقت يد إيران في المنطقة، ومن ثَمَّ لا بدَّ من الرد.

ردَّتِ الرياض عن طريق التصعيد مع إيران من عبر قيادة تحالف عسكري في اليمن لقتال الحوثيين (حلفاء إيران) عام 2015، ومن ثَمَّ إعدام رجل الدين الشيعي الشيخ نمر النمر عام 2016، ممَّا أدَّى إلى إحراق البعثات الدبلوماسية السعودية في إيران من محتجين عام 2016، وهو ما أدَّى بدوره إلى قطع العلاقات بين البلدين والدخول في سلسلة صراعات بالنيابة في الشرق الأوسط، استمرت حتى بعد دخول طهران والرياض الحوار أول مرة عام 2019، وإن كان بوتيرة أقل، وذلك كما قلنا نتيجة انسحاب ترامب من الاتفاق النووي، وتشديد العقوبات الاقتصادية على إيران ضمن حملة الضغط القصوى. ومن ثَمَّ فإنَّ الحوار لم يكن ضمن جدول أعمال كل من طهران والرياض قبل عام 2019.

تساؤل آخر يبرز هنا: هل معنى هذا أنَّ الصراع مزمنٌ بين البلدين؟ إذ إنَّ الصراع حالة طبيعية في العلاقات الدولية، لكن المشكلة تكمن في إدارة الصراع، وفي كيفية إبقائه في حدود مسيطر عليها. والملاحظ على الصراع السعودي الإيراني هو أنَّه فضلاً عن عامل الجغرافيا (والخلاف حول تسمية الخليج –الفارسي أم العربي– تكفي للتدليل على عمق العامل الجغرافي للصراع) ينهض العامل الديني–المذهبي بدور في تعقيد الصراع الذي ازداد تعقيداً بتضمين دستور الجمهورية الإسلامية مبدأ تصدير الثورة24؛ ليدقَّ ناقوس خطر في الرياض، وعموم دول الخليج التي دعمت نظام صَدَّام حسين في الحرب العراقية الإيرانية، التي كانت بصورة غير مباشرة حرباً بالنيابة لصالح المملكة العربية السعودية، ودول الخليج العربي.

كما لن يحلَّ الاتفاق مشكلة انعدام الثقة بين طهران والرياض التي ولدها تضمين إيران مبدأ تصدير الثورة الإسلامية واستضافة دول الخليج لقواعد أمريكية، فضلاً عن توقيع معظم دول مجلس التعاون لدول الخليج العربي اتفاقيات تطبيع مع (إسرائيل)، فيما عُرِفَ بالاتفاقيات الإبراهيمية التي تقوم واشنطن حالياً بإقناع الرياض بالالتحاق بها. الأمر الذي تراه طهران أنَّه موجَّه ضدَّها. لذا يمكن القول إنَّ الاتفاق بين الرياض وطهران هو أقرب إلى هدنة ستُوقَّع في شهرين ريثما ترى الرياض مآلات المفاوضات التي تخوضها مع واشنطن و(تل أبيب).

**ماذا يعني الاتفاق للعراق؟**

إنَّ الاتفاق رهن بدخوله حيّز التنفيذ، وفي هذين الشهرين قد تحدث تطورات تؤثّر على مستقبل الاتفاق، لكن عموماً سينعكس خفض التصعيد بين طهران والرياض إيجاباً على بغداد. إلا أنَّ الرعاية الصينية للاتفاق ستفعِّل منطق اللعبة الصفرية بين الولايات المتحدة والصين، وهنا يجب الحذر.

إنَّ موافقة الحكومة العراقية على تسوية تعاملاتها التجارية مع الصين بالعملة الصينية (اليوان) بدلاً من الدولار الأمريكي قد يكون له ما يبرره اقتصادياً، إلا أنَّه يجب إعادة التفكير في التبعات السياسية لهذا القرار، لا سيَّما في ظل الظروف الدولية الراهنة، إذ إنَّ الاستقطاب على أشده بين الولايات المتحدة وحلفائها من جهة، والصين وروسيا من جهة أخرى. إذ قد ترى واشنطن في قرار الحكومة العراقية هذا جزءاً من محاولات تقويض مكانة الدولار في الأسواق العالمية، الذي يُعدُّ للولايات المتحدة مسألة أمن قومي25. وأزمة الدولار التي مر بها العراق في كانون الأول من هذا العام كفيلة بدعوة الحكومة العراقية بإعادة التفكير بهذا القرار أو التواصل مع واشنطن ووضعها بصورة أسباب الحكومة العراقية ودوافعها من تبنيها هذا القرار، وأنَّه لا يهدف بأيّ حالٍ من الأحوال إلى تقويض وضع الدولار في الأسواق العالمية.

## الخاتمة

مع حالة التفاؤل التي رافقت الإعلان عن الاتفاق بين طهران والرياض على إعادة العلاقات بينهما والاتفاق على إعادة فتح السفارات في شهرين من تاريخ الاتفاق –أي: في العاشر من أيار المقبل– إلا أنَّ هناك مؤشرات تدعونا إلى عدم الإفراط في التفاؤل والحذر من التطورات التي قد تشهدها منطقة الشرق الأوسط، وتحديداً تلك التي تتعلق باحتمالات توجيه ضربة عسكرية لمنشآت إيران النووية، وقد تمتد إلى ضرب البنى التحتية العسكرية لإيران بصورة قد يضعف مقومات قدرة نظام الجمهورية الإسلامية على البقاء، لا سيَّما في ظل تصدع الداخل الإيراني بفعل الاحتجاجات التي انطلقت منذ أيلول، وحالة السخط الشعبي ضد سوء الأوضاع الاقتصادية في البلاد.

قد تُعجِّل هذه الاحتمالات الاتفاق بين طهران والرياض برعاية صينية، لا سيَّما أنَّه جاء بالتزامن مع المفاوضات التي تخوضها المملكة العربية السعودية مع واشنطن و(تل أبيب)؛ لانضمام الرياض إلى الاتفاقيات الإبراهيمية. إذ إنَّ الاتفاق بين طهران والرياض على إعادة العلاقات في شهرين قد وضع الولايات المتحدة و(إسرائيل) أمام خيارين، أمَّا القبول بشروط الرياض أو القبول بتطبيع الرياض وطهران.

وقد يقول قائل، يوجد خيار ثالث وهو القبول بتطبيع الرياض مع كل من طهران و(تل أبيب). هذا الخيار مستبعد، أو أنَّ احتمالات تحققه ضعيفة في أحسن الأحوال؛ لسبب يسير، وهو بلوغ طهران العتبة النووية (عسكرياً)، لذا جاء تصريح مساعد وزير الدفاع الأمريكي كولن كال بأنَّ طهران بحاجة إلى (12) يوماً لإنتاج قنبلة نووية وسط إجراء الولايات المتحدة و(إسرائيل) مناورات عسكرية ضخمة في صحراء النقب وولاية نيفادا الأمريكية مع حراك أمريكي في الشرق الأوسط يؤشر لاحتمال قرب بدء عملية عسكرية موجهة ضد إيران قد تغيِّر صورة الشرق الأوسط الذي بشَّر به الاتفاق بين طهران والرياض.

**الاستنتاجات:**

في ظل ما تقدَّم، نخلص إلى الاستنتاجات الآتية:

1. إنَّ رعاية الصين للاتفاق في وقت تمر به العلاقات الأمريكية الصينية بأسوأ حالاتها وأشدها خطورة قد يؤشِّر نية الرياض استخدام الاتفاق كورقة ضغط في مفاوضاتها التي تخوضها حالياً؛ للانضمام إلى الاتفاقيات الإبراهيمية.

2. إنَّ توقيت الاتفاق مع بلوغ طهران العتبة النووية وتوقيت تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الذي كشف عثور الأخيرة على يورانيوم مخصب في منشأة (فوردو) بكميات تقرُّب إيران من صنع سلاح نووي، من المحتمل أن يزيد من مخاطر توجيه ضربة عسكرية ضد إيران في الشهرين المقبلين، أو موافقة إيران على تفكيك برنامجها النووي، وهو أمر سيكون أشبه بالمغامرة ومن المستبعد أن تقوم به الجمهورية الإسلامية في ظل أزمة الثقة بينها وبين الولايات المتحدة، وإذا أقدمت طهران على ذلك فسيكون نتيجة التهديدات التي تؤشِّر جدية واشنطن الإقدام على الخيار العسكري.

3. وبقدر تعلُّق الأمر بالعراق، فإنَّ السيناريو العسكري قد تكون له انعكاسات على العراق في ظل الوجود العسكري الأمريكي في العراق، فيما سيكون للخيار الدبلوماسي انعكاسات سياسية تتعلَّق بقرار الحكومة العراقية تسوية تعاملاتها التجارية مع الصين بالعملة الصينية بدلاً من الدولار، وهو أمر يستلزم من الحكومة العراقية التواصل مع واشنطن بشأنه، وبيان أنَّ دوافع الحكومة العراقية بعيدة عن مساعي تقويض مكانة الدولار في الأسواق العالمية.

## المصادر

**1–**Dadouch, S.(2021), After backing Assad, Iran and Russia compete for influence and spoils of war, The Washington Post. May 20.

**2–**Collinson, S. (2023), Why the Chinese balloon crisis could be a defining moment in the new Cold War, CNN. February 6.

**3–**Davidson, J. (2014), The U.S. Pivot to Asia, American Journal of Chinese Studies, pp. 77-82.

**4–**Brower, D.& McCormick, M. (2023), What the end of the US shale revolution would mean for the world, Financial Times, January 16.

**5–**Elhamy A. & Abd-Alaziz, M. (2022) , Saudi Arabia, United States clash over reason for OPEC+ oil cut, Reuters, October 13.

**6– الرئيس الصيني يبدأ زيارة للسعودية والبيت الأبيض يحذر من محاولات بكين للهيمنة على العالم، الجزيرة 7/12/2022.**

**7– الهجوم على أرامكو: واشنطن «حددت مواقع في إيران أطلقت منها طائرات مسيرة وصواريخ، bbc، 17/9/2023.**

**8–**Baker, P. (2023), Chinese-Brokered Deal Upends Mideast Diplomacy and Challenges U.S., The New York Times, March 11.

**9-**Walz, K. (2012) Why Iran Should Get the Bomb: Nuclear Balancing Would Mean Stability, Foreign Affairs Vol. 91, No. 4 (JULY/AUGUST 2012), pp.

2-5.

10-Nissenbaum, D., Lieber, D. & Kalin, S. (2023) , Saudi Arabia Seeks U.S. Security Pledges, Nuclear Help for Peace with Israel. The Wall Street Journal, March 9.

11- Abrams, E. ( 2021), Did the "Maximum Pressure" Campaign Against Iran Fail?, Council on Foreign Relations, July 12.

عربي، bbc12.2/1/2016- إعدام الزعيم الشيعي نمر النمر في السعودية يثير موجة من الغضب،

13- الدوافع والإمكانات المستقبلية للاتفاق السعودي- الصيني- الإيراني (2023) العربي الجديد، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد20، 15 أذار.

14- Matthew Bunn Morgan L. Kaplan Elizabeth D. Sherwood-Randall Joseph L. Votel Tarek Masoud Vincent K. Brooks Gary Samore Martin B. Malin William H. Tobey Ambassador Wendy R. Sherman Paula J. Dobriansky Rami Khouri ,(2020), Impacts of the U.S. Killing of Qassem Soleimani, Belfer Center for Science and International Affairs, Harvard Kennedy School, January. 3.

15- أول اعتراف إيراني بإرسال طائرات مسيرة إلى روسيا، الجزيرة، 5/11/2022.

16 - Abrams, E., ibid.

17- طهران تحدد موقفها من وضع شروط مسبقة في محادثاتها مع السعودية، الجزيرة، 12/9/2022.

18- Baker, P. ibid.

19- الدوافع والإمكانات المستقبلية للاتفاق السعودي - الصيني – الإيراني، مصدر ذُكِرَ سابقاً.

20- لأكثر من أسبوعين.. الجيش الإسرائيلي يجري مناورة «العلم الأحمر» بمشاركة سلاح الجو الأمريكي، sputnikarabic 12/3/2023.

21- البنتاغون: إيران باتت تحتاج لـ12 يوماً لإنتاج قنبلة نووية، العربية، 1/3/2023.

22- مدير الوكالة الذرية يزور إيران الجمعة وواشنطن تحذر: لن نسمح بحصول طهران على سلاح نووي، الجزيرة، 6/3/2023.

23- وزير الخارجية السعودي لـ«الشرق الأوسط»: الاتفاق مع طهران لا يعني حل جميع الخلافات»، الشرق الأوسط، 12/3/2023.

24- Van Der Heiden, P. & Krijger, A. (2018), The Saudi-Iranian

Rivalry, Atlantisch Perspectief , Vol. 42, No. 2 (2018), pp. 11-15.

25- Kirshner, J. (2008) , Dollar Primacy and American Power: What's at Stake?, Review of International Political Economy , Aug., 2008, Vol. 15, No. 3.